مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (5)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (5) 2015

السيرورة الدلاليّة في السيميائيات آلية تشكّلها و نُظم تطورها

الدكتور سامي عوض *
ميساء شيخ يوسف**

(تاريخ الإيداع 22 / 4 / 2015. قبل للنشر في 7 / 9 / 2015)

□ ملخّص □

إنّ السيرورة السيميائيّة عمليّة يتمّ من خلالها انصهار الابعاد الثلاثية للعلامة ، و اشتغالها على أنّها وحدة متكاملة تحيلُ إلى مجموعة من الدّلالات ، ترتبط بغيرها من العلامات ضمن نسيج النّص ، و هي بارتباطها هذا تحيل إلى فيض كبير من الدلالات أيضاً ، ذلك بحسب قدرة كلّ علامة على الإحالة (peference) ، و هي بتوالدها و تناميها تشكّل المعنى ؛ لكنّ التنامي المستمرّ قد يوقع المؤول في مشكلة تبعثر الدلالات و تشتتها ، فما الذي يضبط السيرورة الدلاليّة ؟ و كيف يتمّ توجيهها باتجاه معنى محدد دون الابتعاد عن مقصديّة(doctrine) النّص ، أو التشتت في عالم لانهائيّ من المدلولات .

من هنا ، كان هدف البحث السعي وراء إيجاد ضابطٍ يضمن الحدّ من لانهائية الدلالات ، و في الوقت نفسه يسمح للمؤول بحرية في التأويل .

الكلمات المفتاحيّة : السيرورة –علامة –السياق – التأويل .

* أستاذ – قسم اللّغة العربيّة – كليّة الآداب و العلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقيّة – سورية .
**طالبة دراسات عليا (دكتوراه) – قسم اللّغة العربيّة – كليّة الآداب و العلوم الإنسانيّة – جامعة تشرين – اللاذقيّة – سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (5)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (5) 2015

Semiosis in Semiotics: How It is Formed and Developed

Dr. Samie Awad *
Maisaa Shiekh Yousef **

(Received 22 / 4 / 2015. Accepted 7 / 9 / 2015)

□ ABSTRACT □

Semiotics is the process in which the three parts of a sign are united to form one integral mass. It studies the significance and their meaning as they are linked with other signs in a context. The main reason for these various expressions is theinfinite emerged meanings, which are stopless and constant and convey various implied meanings. Here lies the main concern of this research; how can we direct these significances to reach the real meaning of a text? So, the research tries to find out limits that restrict interpretations and their significances. yet, it allows the interpretator to interpret freely!

Keywords :Context, significance, sign, semiosis

*Professor , Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities , Tishreen University , Lattakia , Syria .
**Postgraduate Student , Department of Arabic , Faculty of Arts and Humanities , Tishreen University , Lattakia ,Syria

مقدّمة :

تشكّل السيرورةُالدلاليّةُ حصيلةً للنشاط الإنسانيّ المعرفيّ ، وطرق تجليه ، ترتبطبقدرة المتلقي على استيعابه و فهمه ، إنّها طريقةُ الوصول إلى المعنى المرتبط بسياق النّص و إمكانات المؤول ، و تعني بشكل أدقّ القواعد الضمنية التي تحمل المعنى في طياتها بوساطة علاماتٍ تشتركُ فيما بينها بعلاقاتٍ تسهم في غنى الدلالات و تنوّعها ، فلا يمكن الوصول إلى المعنى الضّمني للنّص إلا من خلال سلسلةٍ من الإحالات ، تفرضها علامات النّص ، و أفكار مرسلها ، و ثقافة متلقيها ، و لكلّ طرف من هذه الأطراف دوره في تشكّل السيرورة ، و بناء المعنى العام .

أهميّة البحث و أهدافه :

يحاول البحثُأنْ يصف السيرورة المنتجة للعلامات ، و المحددة لنموها ، و نمط اشتغالها ، و طرق إنتاجها لدلالاتها ، فالتعرّف على طرق تشكّل هذه السيرورة ، و الكشف عن عناصرها بالغُ الأهميّة ؛ فمن المحال فهم أيّ سلوكٍ سيميائيّ إذا لم تُحدد طبيعة السيرورة التي تعدُّ أساساً لكلّ معنى ، و ما لم تُكتشف العلاقات القائمة بين العلامات التي تحيلُ إلى الكمّ الدلاليّ الهائل داخل الممارسة الإنسانيّة ، فالعلامات دالةٌ لوجود علاقاتٍ فيما بينها ، تحكمها السياقات التي تخلقها الممارسات الإنسانيّةُ ، و لا يمكن فهم كلمةٍ دون معرفة الخلفية اللغوية للجماعة البشرية التي تستخدمها .

منهجيّة البحث :

اعتمد البحثُ على المنهج الوصفيّ الذي يقوم على دراسة بنية العلامات و أنواعها ؛ ليصل من خلالها إلى السيرورة الدلالية التي تنتج عن ترابط هذه العلامات مع بعضها البعض ، لتكوّن المعنى ، و تجعل الدلالات غير متناهية ، وحركة السيرورة الدلالية متنامية متطورة ، و قد حاولت الدراسة إيجاد حدود لتشعب هذه السيرورة ، بهدف تقييد الدلالة حتى لا تبتعد عن حدود النّص .

الدراسة :

1- العلامات و أنواعها :

تعدُّ العلامة الشكل الرمزيّ الذي يقوم بدور الوسيط بين الإنسان و عالمه الخارجيّ ، و من خلالها يتواصل الفرد مع أبناء مجتمعه ، و بها ينظّم تجربته ؛ ليدخل عالم الثقافة ، و يتخلّص من سيطرة الطبيعة عليه ، و يبني لنفسه عالماً رمزيّاً ، يستطيع بوساطته أنْ يخلق سنن تواصله التي تسمح له بتبادل الدلالات و استهلاكها ضمن الجماعة البشريّة التي تستخدم اللغة نفسها ؛ لذلك انصب اهتمامُ الباحثين على تحديد مكونات العلامات ، التي تشكّل اللبنة الأساس للسيرورة الدلالية ، فهي تتميز العلامة عند دو سوسور(**de Saussure**) بطبيعتها المركبة ؛ لأنها تتكون من جزأين مترابطين ارتباطاً وثيقاً ، لا يمكن أن يُوجد جزء مستقل عن الآخر ، أحدهما هو المفهوم (Concept) ؛ والثاني أطلق عليه اسم الصورة السمعيّة (acoustiqueImage) باجتماعهما معاً تتشكل العلامة (Sing) ، ثمّ استبدل سوسور كلمة مفهوم بمصطلح الدال(Signifiant) ، وبالصورة السمعيّة مصطلح المدلول (Signifiè) . و ميّز بين صورة الكلمة ومفهومها ، لا بين الاسم والمسمّى ، و كذلك فرّق داخل العلامة نفسها بين مستويين اثنين : المستوى النّفسي، والمستوى الماديّ . النّفسي : هو حصول الصورة السمعية ؛ والمادي هو المفهومأمّا المرجع فقد أقصاه ؛ لأنّه

يرى أنّ العلامة لا تربط بين الشيء واسمه ؛ بل بين المفهوم والصورة السمعيّة ؛ أي بين الدال والمدلول ، و هما لا يرتبطان بعلاقة تعليلية ، وإنّما العلاقة بينهما اعتباطيّة (Arbitraries) .

أمّا بيرس(Pierce) فقد ميّز بين ثلاثة أنواع رئيسة من العلامات المتباينة فيما بينها بحسب طبيعتها :

1- علامات لغوية ذات طبيعة اصطلاحية (Conventional) مثل الألفاظ المستخدمة في الحوار ، والتي تختلف من لغةٍ إلى لغةٍ ، وكذلك أسماء الأعلام وغيرها .

2- علامات طبيعية : " وهي تظل في علاقة تجريبيّة مستمرة بالموضوعات التي تحيل إليها " ([1]) فالسحاب علامة للمطر ، والدخان علامة للنار .

3 - علامات مصطنعة ، وهي نوعان ؛ نوع يصنعه الإنسان لكي يمثل الواقع بشكل تصويري كالصور الفوتوغرافيّة ، والمصورات الجغرافيّة ، والمنحوتات الطينيّة ، أو الفخاريّة . وهذا النوع يرتكز على المشابهة ليدل على الواقع . أمّا النوع الثاني فهي العلامات التي لا تشبه موضوعها ، إلا أن ما يربطها به هو علاقة فيزيقيّة مثل أدوات قياس الحرارة ، التي تستعمل لأغراض طبيّة ، ومقياس رختر للزلازل .

بعد تحليل دقيقٍ للعلامات ذات الطبيعة المختلفة ، توصل بيرس إلى مجموعة من الصفات المشتركة التي تجمع هذه العلامات ، مما جعله يُدرجها جميعاً تحت مفهوم العلامة العام ، وهذه الصفات هي :

1- كل علامة تحوي على وجه واحد على الأقل يمنع الإنسان من استخدامها كما يريد ، لأنّ كل علامة تمتلك مجموعة من السّمات موجودة في ذاتها ، وهي التي تجعل منها علامة على موضوع ما دون سواه ، وقد أطلق بيرس على هذه الصفة أساس الإشارة ( ) Ground .

2- ترتبط كل علامة واقعياً أو ميتافيزيقياً بالموضوع الذي تحيل عليه ، بشكلٍ يمكّن العقل من إدراكها بسهولةٍ ، ودعا هذه الصفة " التطبيق الإثباتي للعلامة " ([2])

3- " إن كلّ علامة تثير في الذهن فكرة معينة ، تكون بمثابة تأويل لها ، وهي في الوقت ذاته تأويل للموضوع الذي تحيل إليه ، ونطلق على هذه الصفة اسم " الوظيفية التمثيلية للعلامة " ([3])

تأسيساً على ما سبق عرّف بيرس العلامة بأنّها " شيء يرمز إلى موضوع معين بالنسبة لأي شخص من الأشخاص ، حيث تثير في ذهنه علامة أو فكرة أخرى تُكافِئُ العلامة الأولى ، وقد تكون أكثر تطوراً منها ؛ أي تأويلاً لها " ([4]) وهذه العلامة ترتكزعلى العلاقة القائمة بين أطراف ثلاثة هي ماثول وموضوع ومؤول ، وكل واحد من هذه الأطراف من الممكن أنْ يشكل علامة .

هذا و قد صنّف بيرس العلامات تصنيفاً آخر يرتكز علىالعلاقة القائمة بين العلامة وموضوعها ، فوجد أنّها تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

أ- الأيقونة (Icone) :

([1])_ copper , Ayer , A ." The origins of pragmatism" , Fragmatism , copper and company , California , 1968 p: 40

([2]) -Pierce , Ch . S . Collected Papers , are edited by Charles Hartshorne , and Paul Wiss , Harvard , University press , Cambridge , 8 voles , 1960 , vole 2,5/287

([3]) –المصدر السابق نفسه : 5/290

([4]) – المصدر السابق نفسه : 2/228

إنّها العلامة التي تحيل على موضوعها نتيجة اشتراكهما معاً في خاصية المشابهة ، وهذه المشابهة ليست نوعاً واحداً ، وإنّما هي نوعان ؛ حسيّة كالصور الفوتوغرافية ، والثّانية تعتمد على التماثل في العلاقات القائمة بينها ، وبين أجزاء الشيء الذي تحيل عليه ، ومثّلَ لذلك بالخرائط الجغرافيّة والأشكال البيانيّة .

ب – الإشارة (Indice) :

" وهي العلامة التي تحيل على موضوعها نتيجة لوجود ترابط منطقيّ أو سببي بينها وبينه من جهة ، وبينها وبين حواس الشخص الآخر من جهة أخرى " ([1]) وقد قيّدها بيرس بصفة الواقعيّة ؛ فهي توجّه انتباه الشخص إلى موضوعها سواء أشاء أم أبى ، فعندما يشاهد الإنسان دخاناً متصاعداً ؛ فإنّ انتباهه سيتجه مباشرة نحو النّار المسببة للدخان . وهذا ينطبق أيضاً على العلامات اللّسانيّة ، فضمائر الإشارة ، وأحرف الجر ، وأسماء العلم ؛ هي نوع من الإشارات ، فحين يلفظ أحدنا ضمير الإشارة (هذا : this) مثلاً ، فإنّ الضمير يثير المستمع ، فيحاول أنْ يُعرّف الموضوع الذي تشير إليه تلك الإشارة ، فيستخدم كلّ قواه الحسيّة ليتبين ذلك الموضوع . وأثبت بيرس صفة الواقعية للإشارة " أنّها النّوع الوحيد من العلامات ، الذي نستطيع من خلاله تمييز العالم الواقعيّ عن العالم الوهميّ ، فنحن لا نستطيع استخدامها ما لم يكن الموضوع الذي نشير إليه موجوداً " ([2])

ج – الرمز (Symbol) :

يعرفه ايكو بأنّه " كيان تصويريّ أو غير تصويريّ ، يُمثّلُ من خلال خصائصه الشكليّة ، أو من خلال طابعه العرفيّ حدثاً أو قيمةً ، أو حدساً أو هدفاً ، مثلاً الصليب (علامة الصليب) المنجل والمطرقة ، جمجمة ميت " علامة شعاريّة " ، علامات البحريّة (شراع ، شهب ، مربع ، منحرف) (....) يحيل بطريقة فضفاضة أو إيحائيّة أو غير دقيقة على حدث أو قيمة " ([3])

إنّه " العلامة التي لا تُشير إلى موضوعها نتيجة ترابط واقعي بينها وبينه ؛ بل يتوقف على وجود ذهن معين، يفسر الرمز بطريقة تجعله يشير إلى ذلك الموضوع " ([4]) أي أنّ الأساس في إحالة الرّمز على موضوعه هو الذهن الذي يستخدمه ، وأصدق مثال يمكن استحضاره للدلالة على علامة الرمز هو الألفاظ اللغويّة ، ذات الطبيعة العامة مثل (إنسان– علم – مثلث ....) فالرّمز حسب بيرس لا معنى له في ذاته ؛ بل إنّ معناه يتحدد من قبل مستخدميه عن طريق المواضعة (Conventional) و يُقصد بها الاتفاق ؛ أي اتفاق الجماعة البشريّة على استخدام هذا الرمز لهذا المعنى ، ولكنّ هذه المواضع لا تحصل بطريقة اعتباطيّة ؛ بل تعتمد على التّعليل ، فطبيعة الموضوعات ذاتها هي التي تحكم اتفاق الجماعة البشريّة على رمز معيّن واستخدامه " فالرّمز إذن نمط أو عرف ؛ أي أنّه العلامة العرفيّة لهذا فهو يتصرف عبر نسخة مطابقة ، ويتضمّن الرّمز نوعاً من المؤشر من نوع خاص " ([5]) بمعنى أنّه ليس اعتباطياً بشكل تام ، وإنّما يحمل في جزء منه صفة الاصطلاحيّة فهو " يستتبع إذن قرينة ما " ([6]) تدل عليه ، وتحيل على

([1]) – **Pierce, Ch . S . Collected Papers, vole 2,2/305**

([2]) – **Goudge .Th . The thought of C. S. pierce doverpulications, N.Y.1950, p145**

([3])– **ايكو ، امبرتو . في الحاجة إلى العلامات ، ترجمة محمد الرضواني ، مجلة علامات ، المغرب عدد 22 ، 2004 ، ص 39 . (132– 143)**

([4]) – **Pierce,Ch . S . Collected Papers vole 22/249**

([5]) – **المرجع السابق نفسه : 2/249**

([6]) – **كورتيس ، جوزيف ، وآخرون . السيميائيات أصولها وقواعدها ، ترجمة رشيد ابن مالك مراجعة وتقديم عز الدين مناصرة الطبعة الأولى ، الجزائر ،منشورات الاختلاف ، 2002 ، ص28**

موضوعه " إلا أنّ الرّمز لا يشير إلى شيء فرديّ ، وإنّما إلى نوع يتصف بالعموميّة فاللّفظاللغوي (إنسان) لا يشير إلى شخص بعينه ، وإنّما إلى النوع العام الذي يشمل جميع الأشخاص .

ومن هنا ، يتميّز الرّمز عن غيره من أنواع العلامات (الإشارة –الأيقون) بصفة العموميّة " ([1]) إنّ هذا التنوّع و الغنى في أقسام العلامة و أنواعها أدى إلى تنوّع السيرورة الدلالية ، و انفتاح دلالاتها ، و ساهم في إدراك المعنى .

2 - السيرورة الدلاليّة للعلامة اللسانيّة :

ينصبُّ اهتمام السيميائيات حول فهم أسرار الدّلالات ، و هذا ما يجعلها حقلاً خصباً لاستثمار مناهجها و إجراءاتها في فهم أيّ نصّ مهما كان نوعه ، و السيميائيات " لا تنفرد بموضوعٍ خاصٍ بها ، فهي تهتمّ بكلّ ما ينتمي إلى التجربة الإنسانيّة شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءاً من سيرورة الدلالة ؛ بل إنّ كلّ مظاهر الوجود اليوميّ للإنسان يُشكّل موضوعاً للسيميائيات ، و بعبارة أخرى فإنّ كلّ ما تضعه الثقافة بين أيدينا هو في الأصل و الاشتغال علامات تُخبر عن هذه الثقافة و تكشف هويتها " ([2]) وبما أنّ العلامة(Signs)تشكّل مادّة أوليّة ومنطلقاً أساسياً في عملية التواصل ، أيّاً كان نوع هذه العملية ؛ لذلك لا بدّ من أن تتم دراسة العلامات ضمن نظام تواصليّ ، يحدد نوع العلامة ، وعلاقتها مع غيرها من العلامات من خلال سيرورة دلاليّة ، ويُطلق عليها بيرس (Sèmiosis) وتعني " السيرورة الذهنيّة المنتجة للدلالة من خلال التفاعل الثلاثيّ المتزامن بين مكوّنات العلامة " ([3]) لعل ما يقصده بيرس بالسيرورة الذهنية ؛ هو العملية التي يتم من خلالها تشكّل المعنى ، الذي ينتُج – حسب رأيه – من الترابط الحاصل بين أجزاء العلامة ؛ المكوّنة من ماثول أوّل (Représentation) يحيل إلى موضوع ثان (Object) عبر مؤول ثالث (Interprétant) يتوسط بينهما . لكنّ المعنى لا ينتج فقط من ترابط أجزاء العلامة وحدها ؛ لأنّها لا تحمل معنى خاصاً في ذاتها ، فالمعنى الذي تحيل عليه مُبهم ، وما يمنحها القدرة على إنتاج المعنى هو ترابط العلامات بعضها مع بعض . لكنّ بيرس (Peirce) اكتفى بذكره لعلاقات الترابط بين أجزاء العلامة الواحدة ؛ لأنّها هي الأساس الذي تُبنى عليه العلامة ، فإذا فُقدت أحد الأجزاء دمّرت العلامة ، ولم تعدّ تملك القدرة على التمثيل ونقل المعنى إلى المتلقي ، وبتدميرها هذا تنتهي السيرورة الدلاليّة ؛ لذلك ربّما كان الترابط الذي قصده بيرس ترابطاً يفهم بطريقتين :

1- الترابط بين أجزاء العلامة الواحدة .

2- الترابط بين العلامات التي تشكّل فيما بينها نصاً.

وتوضيحاً لذلك نسوق المثال الآتي ؛ إنّ كلمة (باب) دالة ؛ لأنّها تستند إلى علاقات الترابط الآتية:

1- مجموعة من الأصوات ، تستخدم كتمثيلٍ رمزي ، متفق عليه عند جماعة بشريّة ، تتكلم اللّغة ذاتها .

2- موضوع يستند إليه هذا التمثيل بهدف إنتاج صور ذهنيّة ، تستدعي معرفة ، موجودة بشكل مسبقٍ عند المتلقي تشكل المنطق الإدراكي لدى المتكلمين ، الذي ينتمون إلى جماعة لسانيّة واحدة .

3- مفهوم يربط ما بين أداة التمثيل والموضوع ؛ ليحولها إلى صورة ذهنيّة ، تغنينا عن الواقع المجّرد ، وتمكننا من إدراك الوجود ، بوصفه كياناً منفصلاً عن ذواتنا ، نستطيع التوصل إليه وفهمه عن طريق العلامات ، ليتشكل في أذهاننا بصورة تخيلية ، تحاكي الواقع المجرّد ، أو تطابقه في معظم جوانبه . إنّ ما يعطي هذاالمفهوم معنى ، هو الترابط بين الأجزاء الثلاثةللعلامة ، لكنه معنى ناقص ؛ لأنّه مبهم ، لا يحيل إلى شيء بعينه ، أمّا لو جاء هذا

([1]) – دولودال ، جيراد ، السيميائيات أو نظرية العلامات .ترجمةعبدالرحمنبوعلي،الطبعةالأولى، اللاذقية، دارالحوار، 2004 م . ص36 .

([2]) – بنكراد ، سعيد . السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها ،الطبعةالثانية، اللاذقيّة ، دارالحوار، 2004 . ص 18

([3])Pierce, Ch . S . Collected Papers, vole 2, p 126.

المفهومضمنسياق ما ، مثل " قال المذيع : فُتِحَ البابُ " فكلمة " باب " ربّما المراد بها باب النقاش أو الحوار أو لعلّ المقصود بها باب التسجيل في المدارس أو الجامعات أو حتى الوظائف الحكوميّة ، وقد يُراد به باب الانتخابات النيابيّة أو المجالس الشعبيّة ، أو ربّما باب المفاوضات السياسيّة ...

إن الترابط الحاصل بين مجموعة العلامات التي تشكّل هذا النّص على بساطتها ، هي التي أحالت إلى المعاني المتعددة ، و هذه المعاني ليست مبهمة ، لأنّها تستند إلى علاقات الترابط بين العلامات ، وفق قواعد يتحكم بها السياق(Context) لذلك تعدّ السيرورة الدلاليّة المحور الرئيس للسيميائيات عند بيرس ؛ لأنّها الطريقة التي تتوالد من خلالها المعاني . إلا أنّ هذه السيرورة لا تقف عند حدود معنىً أوّلي أحال إليه التمثيل منذ بداية الدلالة ؛ بل يشير إلى إمكانية استمرار هذه الإحالة إلى ما لانهاية ؛ لأنّ الإحالات المتتالية تستعيد ما تمّ إهماله في الإحالة الأولى، فهي متطورة متنامية ومستمرة ، تتصف بالحركيّة ، وهذا ما جعل بيرس يربط مفهوم التّأويل بإنتاج الدلالة ذلك لأنّ التأويل يتنامى ويتطور مع حركة الإحالات المستمرة ، التي تولّدها السيرورة من أجل إنتاج الدلالات المؤسسة للمعنى .

3- السيرورة الدلالية و المنطق العقليّ :

ترتكز السيرورة الدلاليّة أساساً على جملةٍ من العلامات المكّونة للنص ، التي تنتج المعنى ، وفق شروط يحددها الانتقاء السياقي " إلا أنّه ينبغي أن تُفهم في إطار المقولات العامة التي توضح اشتغال الوجود ، وأنماطه الخاصين بكل التجربة الإنسانيّة ، فما يُجريه الإنسان ، وما يُنتجه ينبغي أن يفهم باعتباره حصيلة تفاعل دقيق بين مستويات خصوصية هي الأولية والثانوية * والثالثية " ([1])هذا لأنّ بيرس انطلق في تحديده للعلامة من فهم عميقٍ للصلة الوثيقة التي تربط المنطق باللغة ، وكان سعيه يتجسد في البحث عن أصل اللغة التي يستطيع الإنسان بوساطتها أن ينقل الواقع بكل تفصيلاته إلينا ، وقد تبين له بعد تحليل دقيق للفكر البشري أنّ أصل كل تفكيرٍ هو العلامات ؛ لأنّ الإنسان يدرك العالم الخارجي من خلال مجموعة من الوسائط ، بمعنى أنه ليس إدراكاً عفوياً أو بسيطاً، وإنما يمرّ بلحظات ثلاث ، أو بتعبير آخر بمقولات ثلاث (Phaneroscopy)حسب بيرس .وهي مقولة الأولية (Primeite) ؛ توصف بالآنية ؛ لأنّها خالية من القصد ، تمثل المشاعر والأحاسيس وسواها من المفاهيم المجرّدة ، أي الأهواء التي لا يمكن أن تظهر بشكل مادّي ، ولا تحقق وجوداً فعلياً مكتفياً بذاته ، أمّا إذا انتقلت إلى التحقق الفعلي تحوّلت إلى المقولة الثانية (Secondeite) ، بمعنى أنّها تخلّصت من العموميّة ، وأصبحت تحمل صفة القصديّة ؛ أي أصبح لها خصوصية ووجود في العالم الفعلي ، فالأسود كمفهوم عام لا يحقق أيّة دلالة ، لكن إذا ارتبط بثوب مثلاً ، وأصبح صفةً له " ثوب أسود " حقق بذلك خصوصيته ، وأعطاه أبعاداً في العالم المادي فهو ليس له وجود ثابت خارج الشروط التي تُنتجه . مما يعني أنّ المفهوم لا يكتسب خصوصيّة بشكل اعتباطي ، أو بمجرد ارتباطه بمفهوم آخر ؛ بل لابدّ كي يتحقق هذا الارتباط من قانون عام يجعله ممكناً فلو قيل "حليب أسود" لخالف واقع الحياة و تناقض مع الواقع ؛ لأنّ المنطق يرفض هكذا ارتباط ؛ لذلك لا بدّ من وجود مقولة ثالثة تحقق الربط ما بين المقولة الأولى والثانية ، وهي المقولة الثالثة (Tierceite) ، وظيفتها التوسط ما بين المقولة الأولى والثانية ، إنّها مقولة القانون العام أو الضرورة ، لكنّ هذه الضرورة ليست مطلقة وإنّما " هي ضرورة الاستتباع المنطقيّ التي تكون بمفردها ثالثة ، وبالفعل ليس هناك مقولة ثالثة مطلقة ، فالمقولة الثالثة نسبيّة الطبيعة " ([2]) لأنّها ترتبط بالسيرورة الدلاليّة ، المعتمدة على العلامة ، التي لا تحقق وجوداً فردياً أو معنى مفهوماً إلا من خلال ارتباط المقولة الأولى بالثانية عبر الثالثة ، التي تُعدّ

***- وردت هكذا في الأصل والصواب الثانية .**

([1]) - انظر : مبارك ، حنون . دروس في السيميائيات ،الطبعةالأولى،،المغرب ، دار توبقال للنشر ، 1987 ، ص 52 .

([2]) Pierce , Ch . S . Collected Papers,1 /391

المرجع المحدد من قبل السياق المسؤول عن المعنى الذي تحيل إليه العلامة " الدالة على أي شيء يتعين من جهة بموضوع ، ويثير من جهة أخرى في الذهن فكرة معيّنة " ([1]) وهي بفضل انتمائها إلى نسقٍ ما تتخذ أبعاداً لا يمكن أنْ تحيل عليها بشكلٍ مفردٍ بعيدٍ عن العلامات التي تنتمي إليها ، أو التي تجاورها ، و تحدد جزءاً من دلالتها .

4- السيرورة الدلاليّة و دور المؤول :

ترتبط السيميائيات (Sèmiotique) ارتباطاً وثيقاً بالعمليات الإدراكية ؛ لأنّ الإنسان عندما أراد الخروج من دائرة ذاته ، والفصل بينها وبين العالم الخارجيّ بمختلف مكوناته ، أعاد صياغة العالم المجرّد عن طريق العلامات المتحرّكة وفق سيرورة دلاليّة تعدّ " الحركة المستمرة للمدرك " ([2]) ولأنّ هذه السيرورة مرتبطة بالإدراك ، فإنّها ليست حكراً على الكلمات ، ولا تقتصر على اللغة المنطوقة أو المكتوبة فقط ، فالمُلصقات الإعلانية ، والمنحوتات الفنية ، واللوحات ، والطقوس الدينية ، والرقصات وموضوعات العالم المجرّد كافة تخضع للسيرورة ذاتها ، وتتبع القواعد نفسها في إنتاج الدلالة . إلا أنّ هذا لا يعني أنّها تدل من تلقاء نفسها ، لأنّ المعاني التي تحيل عليها ليست موجودة بشكل سابق على وجود الإنسان ، وممارسته لنشاطاته المختلفة في الحياة ؛ بل إنّها دالة في حدود وجود ثقافة يمتلكها المؤول ، ويستند إليها في مجمل دلالتها التقريريّة أو الإيحائيّة ، وبعبارة أخرى إنّها دالة في حدود قدرة المؤول على استحضار الحقل الثقافي الذي تستند إليه من أجل معرفة دلالتها المرجعيّة ، أو إدراك القيم الإنسانية المجرّدة التي تحيل إليها كما يعدّ " انزياح الأشياء عن وضعها الأصلي (المادي) ومعانقتها لعالم لا ينتهي من الدلالات مثال لهذه السيرورة ، وتحديد لاشتغالها ، فما يصدر من الرأس والحاجبين والمنكبين والأرجل ، وما يقوله الجسد وهو يتهادى مزهوّاً بمفاتنه ، لا يعود إلى نوعيّة اللحم الذي يشكل مادته ، بل الأمر مرتبط بالتسنينات الثقافيّة المسبقة التي تجعل من الجسد لغة لا تقل تعبيريّة عن وحدات اللسان الطبيعي " ([3])

و عليه ، فالسيرورة الدلاليّة تعتمد على الإدراك و الوعي البشري " و إذا ما كنّا لا نستطيع فعلاً أن نتعرّف على سيرورة سيميولوجية بدون الوعي الكلّي لكلا الطرفين الباث و المتلقي ، ألا يمكن الانتقال لشيء ما يزيد على المعطى من طرف الجماعة ، أو عمّا هو في معاجمها عن الكلمات المستخدمة ؟ ألا يمكن أن يكون هناك صيرورة دلالة لاتتحدد بالضرورة بما هو في وعي الطرفين " ([4])طبعاً السيرورة متنامية ، و ما يفهمه الفرد من النص ، قد يأتي غيره ليفهم منه شيئاً آخر ، فالفهم و التأويل مرتبطان بمقدرة المتكلّم اللّغويّة ، و مستوى ثقافته .

4- حدود السيرورة الدلاليّة:

تمتلك العلامة ذات البناء الثلاثي من خلال آلياتها الداخلية القدرة على استيعاب معطيات التجربة الإنسانيّة بمظاهرها كافّة ، وهذا الاستيعاب هو الذي يظهر عبر السيرورات الدلالية ، المتعددة بتعدد معطيات هذه التجربة وتنوّعها ؛ لذلك هي تتجاوز المعنى الواحد ، وإنْ أحال عليه المثيل في بداية الأمر ، إلا أنّها تتجاوزه إلى معانٍ يحيل

([1])- المصدر السابق نفسه : 343 /8

([2]) لالاند ، أندريه . موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة خليل أحمد أبو خليل ، الطبعة الأولى ، بيروت ، باريس ، منشورات عويدات ، 1996 ، المجلد الأول ، ص271 .

([3]) – بنكراد ، سعيد .السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، دون طبعة ،الدار البيضاء ، منشورات الزمن ، مطبعة النجاح الجديدة ، 2003 ، ص 167 .

([4]) مرسلي ، دليلة و آخرون . مدخل إلى السيميولوجيا (نص صورة) ترجمة عبد الحميد بورايو ، الطبعة الأولى ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995 . ص 17

عليها التمثيل أيضاً ، لكنّ هذه الإحالات قد تستمر إلى ما لا نهاية ، فكل سيرورة دلاليّة تنتج مجموعة من العلامات أكثر تطوّراً من سابقاتها .

وكلما كانت العلامات متعددة ومعقدة ، دفعت " بسيرورة التدليل (السيميوزيس) إلى التوغل في أدغال المعنى داخل سياقات نصيّة بالغة التنوع و التعقيد ، من أجل إعادة بناء قصديّة النص أو تجاوزها ، بحثاً عمّا يقع وراء النّص ممّا يمكن تشييده أو استدعاؤه من عوامل دلاليّة ، وذلك بحسب اختلاف القراءات وتنوّعها " ([1]) لكن هذا لا يعني أنّ السيرورة الدلاليّة لا متناهية ، فالعلامة التي تحيل إلى أخرى ضمن سلسلة من الترابطات التي يُنظمها السياق ، ممّا يؤدي إلى استحضار كل ما يتعلق بالموضوع بدءاً من المعنى المعجمي ، مروراً بالمعنيين الصرفي والنحوي ووصولاً إلى المعنى الدلالي . لذلك السيرورة الدلالية مفتوحة على الاحتمالات كلّها ؛ لأنّ العلامة الواحدة تحيل إلى عدد غير محدد ، بحسب الموسوعة التي يمتلكها المؤول ، وهذه الإحالات غير مرتبطة بالسياق فإذا ارتبطت به ، فإنّه يحدّ من انتشارها ، ويقيّد تعددها الحرّ ، فسلسلة الإحالات محكومة به ، لأنّه يفرض نوعاً من السياج الذي يحدد للسيرورة نقطة نهايتها ، ولكنّه في الوقت ذاته لا يمنع تعدديتها أو تناقضاتها ، مما يعني أنّ السيرورة الدلاليّة قد تغلق في أية لحظة، وفي الوقت نفسه لا تغلق أبداً.

الخاتمة :

إذاً ترتبط السيرورة الدلاليّة من حيث التعقيد أو البساطة بالعلامات وقدرتها على الترابط فيما بينها ، وهي وإن كانت لا متناهية من حيث المبدأ ، إلا أنّ " الحاجات الإنسانيّة الدائمة – التواصلية منها أساساً – تقود إلى تحجيم هذه الطّاقة الجبارة ، و تسييجها ضمن سياقات تمكن الذات من الاستقرار على دلالة بعينها " ([2]) وهذا يعني أن " غاياتنا المعرفيّة تقوم بتأطير وتنظيم وتكثيف هذه السلسلة غير المحدودة من الإمكانات " ([3]) وذلك بهدف خلق انسجام مابين الإحالات المرجعيّة ، ومن أجل تحديد ما هو أساسي ، وما هو ثانوي ، واستبعاد الدلالات المتناقضة فيما بينها ومن هنا ، السيرورة الدلالية وإن كانت لا متناهية نظرياً ، إلا أنّها أثناء التحقق الفعلي ، وارتباطها بسياقات خاصة تحدّ من انتشارها ، وتقيّد تشتتها ، متناهية .

([1]) – روينه ، الطاهر .سيميائيات التواصل الفني ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مجلّد 35 ، العدد 3 يناير مارس 2007 ، ص 249 .
([2]) - بنكراد ، سعيد . السيميائيات والتأويل ، مدخل لسيميائياتش.س بورس ، الطبعة الأولى ، المغرب ، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ،2005 ، ص 178 .
([3]) - ايكو ، امبرتو. التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، ترجمة سعيد بنكراد ، الطبعة الأولى ، الدار البيضاء المغرب ، المركز الثقافي العربي ، 2000 ص121 .

المراجع :

المراجع العربية :

1- ايكو ، امبرتو . التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، ترجمة سعيد بنكراد ، الطبعةالأولى، الدار البيضاء المغرب، المركز الثقافي العربي، 2000

2- بنكراد ، سعيد .السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها ، دون طبعة ، الدار البيضاء ، منشورات الزمن ، مطبعة النجاح الجديدة ، 2003

3- بنكراد ، سعيد . السيميائيات والتأويل ، مدخل لسيميائي اتش.س بورس ، الطبعة الأولى ، المغرب ، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ،2005 .

4-دولودال ، جيراد ، السيميائيات أو نظرية العلامات ، ، ترجمة عبد الرحمن بو علي ، الطبعة الأولى ،اللاذقية ، دار الحوار ، 2004 م .

5- كورتيس ، جوزيف ، وآخرون ، السيميائيات أصولها وقواعدها ، ترجمة رشيد ابن مالك مراجعة وتقديم عز الدين مناصرة ، الطبعة الأولى ، الجزائر ، منشورات الاختلاف ، 2002

6- لالاند ، أندريه . موسوعة لالاند الفلسفية ، ترجمة خليل أحمد أبو خليل ، الطبعة الأولى ، بيروت ، باريس، منشورات عويدات ، 1996 ، المجلد الأول.

7- مبارك ، حنون . دروس في السيميائيات ، الطبعة الأولى ، المغرب ، دار توبقال للنشر ، 1987.

8- مرسلي ، دليلة و آخرون . مدخل إلى السيميولوجيا (نص صورة) ترجمة عبد الحميد بورايو ، الطبعة الأولى ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1995

المراجع الأجنبيّة :

9 -Pierce , Ch . S . Collected Papers , are edited by Charles Hartshorne , and Paul Wiss , Harvard , University press , Cambridge , 8 voles , 1960 , vole 2

10-copper , Ayer , A ." The origins of pragmatism" , Fragmatism , copper and company , California , 1968

11 -Goudge .Th . The thought of C. S. pierce doverpulications, N.Y.1950

الدوريات :

12- روينه ، الطاهر . سيميائيات التواصل الفني ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مجلّد 35 ، العدد 3 يناير مارس 2007 .

13- ايكو ، امبرتو . في الحاجة إلى العلامات ، ترجمة محمد الرضواني ، مجلة علامات ، المغرب عدد 22، 2004 ، ص 39 . (132- 143)